67 - قوله تعالى : { وإذ قال موسى لقومه إن ا يأمركم أن تذبحوا بقرة } البقرة هي الأنثى من البقر يقال : هي مأخوذة من البقر وهو الشق سميت به لأنها تشق الأرض للحراثة .

والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى قال الكلبي : وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو ا ليبين لهم بدعائه فأمرهم ا بذبح بقرة فقال لهم موسى : إن ا يأمركم أن تذبحوا بقرة { قالوا أتتخذنا هزوا } أي : تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة ! ! وإنما قالوا ذلك لبعد بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه قرأ حمزة هزوا وكفوا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتثقيل وبترك الهمزة حفص { قال } موسى { أعوذ با } أمتنع با { أن أكون من الجاهلين } أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل : من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل فلما علم (القوم) أن ذبح البقرة عزم من ا D استوصفوها ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد ا عليهم وكانت تحته حكمة وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له (ابن) طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة وقال : اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى تكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق فيبيعه بما شاء ا ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما : إن أباك ورثك عجلة استودعها ا في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أنها شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم بإله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أن تأتي إلي فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بإذن ا تعالى فقالت : أيها الفتى البار بوالدتك اركبني فإن ذلك أهون عليك فقال الفتى : إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها فقالت البقرة : بإله بني اسرائيل لوركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له : إنك فقير لا مال لك فيشق عليك

الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث ا ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بر بوالدته وكان ا به خبيرا فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك : لمك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى : لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضى أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت : ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك فقال الفتى : إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على أن أستأمرها فقال الملك : فإني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرهاا فأبى الفتى فرجع إلى أمه فأخبرها فقالت إن الذي يأتيك ملك بصورة آدمي ليختبرك فإذا آتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟ (ففعل) فقال له الملك : اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوها وقدر ا تعالى على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون موسى حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة (فذلك) :